

بر الوالدين من أعظم القربات

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ [وَرَسُولُهُ]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آل عمران: 102)

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ خَلَقْنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ لِعِبَادَتِهِ، وَأَوْجَدْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمُتَّوَحِّدِهِ وَطَاعَتِهِ؛ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56] وَقَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْحِيدَهُ بِعَمَلٍ عَظِيمٍ، وَخُلِقَ كَرِيمٌ، أَلَا وَهُوَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْأَبْوَيْنِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَنَا وَقَدَّرَ أَرْزَاقَنَا، جَعَلَ الْوَالِدَيْنِ سَبَبًا لُجُودِنَا، وَعَوْنًا عَلَى رِزْقِنَا وَالْقِيَامِ عَلَى شُؤُونِنَا؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: 23]. فَفَضَّلَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمٌ، وَتَقْدِيمُ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا كَبِيرٌ، جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَحَرَصَ عَلَيْهِ (يَدْعُو: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ u الْأَتْقِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) [نوح: 28]. وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ يُحْيِي عَلَيْهِ السَّلَامِ يُنْبِي عَلَيْهِ رَبُّنَا فَيَقُولُ: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا عَصِيًّا) [مريم: 14]. وَهَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَقُولُ: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا) [مريم: 32].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]

وَإِنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ يَزِيدُ لِلْإِنْسَانِ فِي عُمْرِهِ، وَيُبَارِكُ لَهُ فِي رِزْقِهِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ» [أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَمِنْ عِظَمِ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: اسْتِجَابَتُهُ - جَلَّ وَعَلَا - لِأَحَدِهِمَا إِذَا دَعَا لِإِنِّهِ، أَوْ رَفَعَ يَدَيْهِ لِإِنْتِهِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ». [أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ]. وَإِنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَسْبَابِ قَبُولِ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا كَبِيرًا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْكَ وَالِدَانِ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَمْكَ حَالَةٌ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَبَرِّهَا إِذَا». [أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَالهَيْثَمِيُّ]

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ صُورَ الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ كَثِيرَةٌ، وَطُرُقَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا مُتَنَوِّعَةٌ، فَمِنْ صُورِ الْبِرِّ بِهِمَا: إِسْعَادُهُمَا وَإِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَيْهِمَا، وَمَدْحُهُمَا أَوْ التَّنَاءُ عَلَيْهِمَا؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُ أَبَايَعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ! قَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا» [أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]. وَمِنْ صُورِ الْبِرِّ: تَقْدِيمُ رِضَاهُمَا عَلَى رِضَا نَفْسِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ بِالْمَعْرُوفِ؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِسْعٍ، وَذَكَرَ مِنْهَا: «وَأَطِعِ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ

دُنْيَاكَ فَاحْرُجْ لهُمَا». وَمِنْ صُورِ الْبِرِّ احْتِرَامُهُمَا وَتَقْدِيرُهُمَا إِحْبَابُهُمَا بِكُلِّ مَا يَسُرُّهُمَا وَيَجْلِبُ الْفَرَحَةَ لَهُمَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَلَا تُدْخِلِ الْحُزْنَ وَالضِّيقَ عَلَيْهِمَا بِإِخْبَارِهِمَا بِمَشَاكِلِكَ أَوْ خِلَافَاتِكَ الزَّوْجِيَّةِ، أَوْ مَشَاكِلِ عَمَلِكَ، فَإِنَّ مَا أَهَمَّكَ سَيُهْمُهُمَا، وَمَا أَحْزَنَكَ سَيُحْزِنُهُمَا. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، عِبَادَ اللَّهِ:

فَكَمَا أَنَّ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ جَاءَ فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، فَكَذَلِكَ جَاءَ الْعِقَابُ الْأَلِيمُ فِي إِذْيَائِهِمَا، وَإِصَالِ الشَّرِّ لَهُمَا؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) [محمد: 22، 23]، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِكَبْرِ الْكِبَائِرِ -ثَلَاثًا-؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، [وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكَبِّرًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَإِنَّ صُورَ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ كَثِيرَةٌ، وَأَنْوَاعُ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمَا مُتَعَدِّدَةٌ، حَمَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا، وَهِيَ تَجْتَمِعُ فِي كُلِّ مَا يَسُوؤُهُمَا، وَيَجْلِبُ الْحُزْنَ لَهُمَا دُونَ وَجْهِ حَقِّ، وَمِنْ ذَلِكَ: الْكَلِمَاتُ الْبَدِيعَةُ فِي مُحَاطَبَتَيْهِمَا، أَوْ النَّظْرُ بَعْضِهَا إِلَيْهِمَا؛ (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) [الإسراء: 23]، أَوْ تَرْكُ الْإِنْتِقَاقِ عَلَيْهِمَا مَعَ حَاجَتَيْهِمَا. وَإِنَّ مِنَ الْعُقُوقِ لَهُمَا اقْتِرَافَ الْمُنْكَرَاتِ أَمَامَهُمَا، وَتَلْوِيثَ سَمْعَتَيْهِمَا بِالتَّصْرِفَاتِ الْمَحْرَمَةِ. وَمِنْ صُورِ الْعُقُوقِ الْحَدِيثِيَّةِ: الْإِسْتِعَاْلُ عَنْهُمَا عِنْدَ الْجُلُوسِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، وَلَا سِيَّمَا بِالنَّقَالِ وَمُتَابَعَةِ الْأَخْبَارِ وَهِيَ يَكْرَهُانِ

ذَلِكَ، فَهَذَا مِنَ الْإِسَاءَةِ وَعَدَمِ الْإِهْتِمَامِ بِهَيْمَا. وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ إِلَى بِرِّ وَالِدَيْنَا، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ أَحْيَاءً
وَأَمْوَاتاً.